ما قلا متاملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يومن فيحيى بالايمان
ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتاملون ولا يتوقع
منهم الايمان اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه
لم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدايع الفطرة والحكمة فيها التي
يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي
انعاما فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون
فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون
قاهرون من قوله ❁ اصبحت لا احمل السلاح ولا ❁ املك راس البعير ان نفرا ❁
اي لا اضبط وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله
وتسخيره لها كما قال القايل ❁ ❁ ❁ ❁ ❁
❁ يصرفه الصبي بكل وجه ❁ ويحبسه على الخسف الجرير ❁ ❁
❁ وتضربه الوليدة بالهراوي ❁ فلا غير لديه ولا نكير ❁ ❁
ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وذللناها لهم فمنها ركوبهم وقري ركوبهم
وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقري
ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع
من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة
وقد فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية والمشارب
جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب افلا يشكرون واتخذوا من
دون الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون
اتخذوا الالهة طمعا في ان يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس
ما قدروا حيث هم جند لالهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون
عنهم ويغضبون لهم والالهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم
لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم
يوم القيمة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار
فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون قري فلا يحزنك بفتح الياء
وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا
عالمون بما يسرون لك من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك
ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الاخرة
حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت ما تقول فيمن
يقول ان قراءة قاري انا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وان اعتقد ما يعطيه
من المعنى كفر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل
وهو كثير في القران والشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى
الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة
لك كسرا بو حنيفة وفتح الشافعي رحمهما الله وكلاهما تعليل والثاني ان
يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون
وهذا المعنى قايم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان
تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها
وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر على معنى التعليل
ولا تقدر البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر
معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب

ذلك

ذلك القايل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون
الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى الى قوله
فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين قبح الله عز وجل
انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان
وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة
حيث قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شي وامهنه وهو النطفة
المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان
يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته
لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت
بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه به وهو كونه
منشا من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح
وراءها وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل
والعاص بن وايل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون
الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن
اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى
الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك
جهنم وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء
مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح
كما قال او من ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فان قلت لم سمي قوله
من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دل عليه من قصة عجيبة
شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه
لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشاة الاولى
فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله
بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين
بالقدرة عليه والرميم اسم ما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات
فلا يقال لم لم يونث وقد وقع خبرا للمونث ولا هو فعيل بمعنى فاعل
او مفعول ولقد استشهد بهذه الاية من يثبت الحيوة في العظام ويقول
ان عظام الميتة نجسة لان الموت يوثر فيها من قبل ان الحيوة تحلها واما
اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون
ان الحيوة لا تحلها فلا يوثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام
في الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس قل
يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق
لا يتعاظمه شي من خلق المنشات والمعادات ومن اجناسها وانواعها
وجلايلها ودقايقها ثم ذكر من بدايع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر
مع مضادة النار الماء وانطفايها به فقال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا فاذا انتم منه توقدون وهي الزناد التي توري بها الاعراب واكثرها
في المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع
الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق
المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح النار باذن الله عز وجل